اولمرت فشل وجر لحرب شاملة دون خطط منظمة

المسؤول عن الهزيمة هو رئيس الاركان دان حالوتس وعليه الرحيل

■ وقف اطلاق النار جاءنا في اسوأ وضع يمكن أن نكون عليه: لسنا في حالة انتصار، ولا في حالة انهيار، وانما في حالة من الفشل الطبيعي. حرب كان بها عدد كبير من القادة، ولم يكن فيها قيادي واحد. حملت قدرا كبيرا من عجرفة القادة الكبار، ومن الخطابات «التشرتشلية» مع قدر قليل جدا من التفكير فيما نريده وما نسعى اليه في هذه الحرب. ما الذي دفع الجيش في صبيحة أحد الايام ورئيس اركانه على وجه الدقة، لاقناع الحكومة المبتدئة نسبيا في الشروع خلال ساعات في حرب شاملة ردا على اختطاف جنديين من جنودنا؟ كيف انجرت الدولة كلها الى هذه الحرب من دون خطة منظمة، ومن دون التفكير بأهدافها وغاياتها وكيفية انتهائها وثمنها، وقوة الدمار التي تنطوي عليها، والمدة الزمنية التي تستغرقها، وما الذي سيُعتبر انتصارا فيها؟.

اريبل شارون كان يمتلك الاجابات على هذه الاسئلة. في كل ما فعله نحو الخير أو الشر، خلال مسيرته الطويلة، كان زعيما يقود الآخرين. كان قبل كل شيء يبدأ في شيء يعرف الى أين سيوصله. كانت لديه القوة والصبر والقدرة على التمسك بالهدف. عندما قرر عبور القناة في حرب يوم الغفران، عرف الهدف مسبقا وخطط المسار وقدّر بصورة صحيحة نقطة انكسار المصريين.

عندما قرر مواجهة م.ت.ف التي جلست على أعناقنا على الحدود اللبنانية حدد الهدف ودخل الى بيروت وطرد قيادة م.ت.ف برئاسة ياسر عرفات عن حدودنا الشمالية. شارون ابتدع فك الارتباط طوال أكثر من ثلاث سنوات. ومنذ اللحظة التي قرر فيها، قاد الآخرين فأقنعهم ونفذ ذلك بالقوة. وعندما رأى أن حزبه لن يسمح له بالتنفيذ اللاحق، شكل كديما حتى يواصل مسيرة انهاء الاحتلال.

ايهود اولمرت دخل في نعليه الكبيرين من دون أن تكون لديه مزايا القائد الذي يسير الآخرون من ورائه. هو حاول التحدث مثل تشرتشل، إلا أن تشمبرلين أطل برأسه من بين جوانحه. في خطابه الاول للأمة تعهد بالقضاء على حزب الله وإزالة التهديد الصاروخي من فوق رأس اسرائيل. وفي خطابه الرسمي الثاني أمام الكلية العسكرية وعد بأن تُغير انجازاته وجه الشرق الاوسط. ليس واضحا على أي أساس تحدث بهذا المستوى المرتفع جدا. هل تحدث على أساس بصيرته وحدسه، أم بناء على قدرته البيانية؟ أو على أساس ما وعده به رئيس هيئة اركانه دان حلوتس؟ ولأنني لا أفترض أن اولمرت قد أطلق هذه الوعود بصورة عفوية، فانه من شبه المؤكد أن رئيس هيئة الاركان هو الذي أقنعه. حلوتس هو الذي كان القائد واولمرت هو المقود.

السؤال هو هل طرح اولمرت الاسئلة الصحيحة فحصل من الجيش على اجابات حقيقية عليها؟ هل سأل مثلا عن قدرة الجيش لتصفية حزب الله، أو على الأقل نزع سلاحه؟ هل درس حجم المخاطر المتوقعة على الجبهة الداخلية وما هي قدرة هذه الجبهة على مواجهة الهجمات الصاروخية؟ وهل سأل إن كان من الممكن فعلا "تحقيق الانتصار" في المعركة من خلال الهجمات الجوية فقط؟ وهل سأل كيف من الممكن القضاء على حزب الله من دون هجمة برية مكثفة؟ وهل سأل إن كان سيحصل على الحسم العسكري عندما ستُعيد اسرائيل السيف الى قرابه؟ والى أي فترة زمنية؟.

حلوتس طيار لامع، إلا أنه مصاب بالثقة الذاتية المفرطة، وهو الذي أقنع اولمرت بما لمناه. وفقا لمعيار النتيجة على الأقل، من المسموح الافتراض أنه قد ضلله ايضا. بعد 3500 صاروخ أُطلقت على نصف الدولة، ومليون مواطن قد أصبحوا لاجئين، واستدعاء الاحتياط في اللحظة الأخيرة من دون تسليح واعداد كما يجب، ومع اسلحة متدنية وخوذات وسترات واقية قديمة، وفي بعض الاحيان من دون امدادات تموينية، تنتهي المعركة باتفاق طبخته الولايات المتحدة من اجل انقاذ اسرائيل من هزيمة محرجة. ليس فقط أن النصر لم يحصل هنا، وانما ايضا يمكن القول أن قدرة اسرائيل الردعية قد تضررت.

الحكومة لم تفحص بصورة معمقة كيف ستتدحرج عمليتها المتدحرجة. كانت لثقة حلوتس الذاتية قدرة على إدخال الحكومة في حالة تنويم مغناطيسي. الرئيس بوش يُحب اسرائيل المنتصرة، ومطلبه بالتوصل السريع لوقف اطلاق النار كان نابعا من الخوف من أن تهب طهران لاعادة تسليح حزب الله وتحويل لبنان بسرعة الى جبهة أمامية لايران.

اولمرت فشل حقا، ولكن ليس هناك مبرر لجر الدولة مرة اخرى الى الانتخابات. كما لا توجد حاجة لعذابات لجنة تحقيق من اجل الوصول الى الاستنتاج بأننا قد انجرفنا الى داخل حرب غير مخططة لم يحرز الجيش الاسرائيلي الانتصار فيها. من فشل، ومن ضلل، ومن أُصيب بالثقة الذاتية المفرطة، ونقل هذه العدوى الى الحكومة، هو رئيس هيئة الاركان. وهو الذي يتوجب عليه أن ينصرف.

يوئيل ماركوس
معلق دائم في الصحيفة
(هآرتس) ـ 15/8/2006

هذه الحرب حفرت القبر لاولمرت وبيرتس والجنرالات

لجنة التحقيق ستطيح بالسياسيين والجنرالات واليسار بكل تياراته مطالب برفع الراية البيضاء

■ على الرغم من كثرة الجنود والمدنيين المقتولين، إلا أن لكل واحد منهم قبره الخاص والشخصي. فليرقدوا في هذا السلام الهش في قبورهم. هؤلاء هم قتلى الملكوت لأن الملكوت الذي تضررت كرامته قد تسبب، كما نعلم، في قتل الكثيرين بسبب يأسه وقنوطه.

أما الآخرون ـ السياسيون والجنرالات وموظفو البلاط ومحلله ـ فيواجهون مصيرا مغايرا: هذه الحرب قد حفرت لهم قبر الأشقاء. من الأجدر بهم أن يستقيلوا من تلقاء أنفسهم، ولكنهم ليسوا ذوي شعور بالمسؤولية أو الاحترام حتى يُقدموا على ذلك. وحدها لجنة التحقيق التي ستتشكل حتى وإن تعرقل ذلك، هي التي سترافقهم في مسيرتهم السياسية الأخيرة نحو الانصراف. وحتى اذا نجحوا في التحايل والتملص من المحاسبة الجماهيرية، فسيطفون خلال السنوات القادمة مثل الأسماك الميتة فوق سطح الماء. التيار العكر وحده والتشعبات السياسية الحزبية هي التي تتيح لهم الظهور في صورة الاشخاص الأحياء الفاعلين. ايهود اولمرت أنهى ملكوته المصطنع، وعمير بيرتس أنهى زعامته المبكرة. ليس هناك وزير من وزراء الحكومة أدى وظيفته كما يجب، وليس هناك جنرال من جنرالات هيئة الاركان قد برز بصورة جيدة، وليس هناك تقريبا محل من المحللين «الصفر» لم يكتو بالنار المضطرمة من دون أن يتعلم من ذلك فيما بعد ـ قبر الأشقاء. وفيه سيوضع ايضا ما يُسمى «اليسار الإسرائيلي». قلة قليلة فقط من الموتى سينجون من الأنقاض التي هُدمت فوق رؤوسهم.

عندما تندلع الحرب ينقسم اليسار الى ثلاثة أجزاء فورا مثلما يحدث في الجيش. الجزء الأول يبدو وكأنه ليس منتميا تماما ولا صلة له بالمجريات: هؤلاء هم الاشخاص الذين يتصرفون وفق رد فعل ارتكاسي مشروط كانوا قد ورثوه من الحرب السابقة وما قبل السابقة. ليس واضحا عندهم دائما أين يقفون، وفي أي جانب من المتراس ـ هل هم معنا أم ضدنا. من الممكن أن تكون نواياهم جيدة، ولكنهم لم ينجحوا أبدا في اقناع الجمهور الاسرائيلي بحسن هذه النوايا. صحيح أن هذه ليست المهمة السهلة – أن تقنع الجمهور في زمن الحرب، الذي هو زمن مثالي لغسل الأدمغة، وقد شعرت بذلك على جلدي أنا، وبالرغم من ذلك أقول: ربما يتوجب على هذا الجزء من اليسار ايضا أن يستعد للجولة القادمة بصورة مختلفة حتى يتمكن من إسماع صوته في داخل شعبه، ومن أعماق آلامه وعذاباته.

والجزء الثاني من اليسار مكون من أطفال صغار ترعرعوا بين اليساريين، فساروا في الظلام سنوات طويلة جدا، إلا أن الحرب الجديدة فتحت عيونهم فوجدوا أمامهم فجأة ضوءا كبيرا. وبذلك يبدأ عندهم موسم الاستحقاقات والحقيقة الكبرى، وتبدأ التوبة عندهم واحدا تلو الآخر. نادمون يعترفون بخطئهم كما حدث في روسيا السوفييتية، أو في يوم الغفران مع حفظ الفوارق. فقط الآن أصبحوا يدركون مدى الخطأ الذي ساروا عليه كل السنين. ولكن، ولحسن حظهم، سنحت أمامهم أخيرا الفرصة من خلال «حرب مبررة» وأصبح بامكانهم أن يُعبروا عن وطنيتهم بصورة فائقة. هم عموما ليسوا من هذه النوعية الانهزامية، كما يظن بهم الكثيرون الظنون.

وبين هذين الشطرين من اليسار في الوسط نجد الجزء الثالث الذي هو السواد الأعظم من اليسار، والذي لا يتجاوز أبدا بندين أساسيين بالنسبة له. من جهة هو يعارض الحرب طبعا، ومن ناحية اخرى يؤيدها طبعا لأنها «مبررة وعادلة»، كما أسلفنا. ما هو مغزى هذا الصدق بالضبط، وضد من يقومون بتجسيد هذا الصدق والعدالة بالضبط؟ مع جنود يُضحون بأنفسهم من دون أن يعرفوا حول ماذا بالضبط؟ مع مواطنين يتلقون آلاف صواريخ الكاتيوشا على رؤوسهم من دون أن يقول لهم أحد مسبقا ماذا سيحدث مع أرواحهم وممتلكاتهم؟ مع الجنود المخطوفين وعائلاتهم الذين غابوا عن القلوب تقريبا خلال المعارك؟ هل قرّب موت 200 مواطن وجندي حتى الآن عملية استرجاع الأسرى بأي قدر ممكن؟ اذا اختطفوا للدولة ثلاثة جنود، فمن واجبها أن تختطف ثلاثين جنديا معاديا وقياديا من الطرف الآخر واجراء المفاوضات من أجل التبادل. ولكن ليس من واجب الدولة أن تشن حربا كبرى هي ليست بحرب وجود في مثل هذه الحالة.

ليست هناك حاجة لليسار ممتنع. فمن اجل الامتناع لدينا شمعون بيرس وأوفير بينس، ويكفينا صمت يولي تامير وشيلي يحيموفيتش العميق. هذا اليسار الذي لم يفعل فعله، يمكنه أن يغادر. كان عليه أن يدرك في وقت مبكر أن انضمامه الى الاجماع الوطني، حتى وإن كان متحفظا حامض الوجه، انما سيزيد فقط من دوي رحلة اولمرت وبيرتس وحلوتس نحو العمق اللبناني. اذا لم ينهض اليسار في الساعات العصيبة على قدميه، فمتى ينوي اذن أن يقوم. ليس هناك أمر أكثر مقتا وبؤسا من حرب يُحكم عليها وفقا لنتائجها: فقط عندما تتواصل وتتعقد وتفسد يظهر علينا الحكماء في الليل.

مع يسار كهذا، من الذي يحتاج الى وسط أو يمين حتى؟

يوسي سريد
(هآرتس) ـ 15/8/2006

هذه حرب لا غالب ولا مغلوب فيها والتعادل في النتائج قد يقود لتسوية

■ زعم صديقي الطيب محمد سيد أحمد، المفكر الماركسي المصري، الذي قضى قبل بضعة أشهر، في كتابه « عندما تسكت المدافع» (1975)، وفي عدد من كتبه الاخرى التي موضوعها النزاع العربي الاسرائيلي، أن ما أنشأ احتمال حل النزاع كان وضع «التعادل» القائم في منطقتنا منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) 1973. «يكفي»، كتب، «ألا تُحرز اسرائيل نصرا كاملا في حرب واحدة، لكي تكون هذه الحرب من جهتها تراجعا وهزيمة، وكأنما خسرت؛ ويكفي ألا يُهزم العرب في حرب واحدة هزيمة مخزية، لكي يكون شكل الحرب، لا من وجهة نظرهم فقط، بل لاسباب موضوعية ايضا، شكل النصر».

إن وقف اطلاق النار الحالي في لبنان فرصة لـ «حِكمة التعادل». في واقع الأمر، التعادل موجود في أساس الواقع الاقليمي منذ سنين غير قليلة، ويجب أن تُشتق منه اجراءات انهاء الفصل الحالي في المواجهة بين اسرائيل ولبنان، في الطريق الى بناء واقع سلمي وتعاون اقليمي.

لا اختلاف في أن القوة العسكرية لاسرائيل تفوق قوة كل دولة عربية على حدة، بل تفوق مجموع قوى عربية. لكن في موضوعنا الحديث عن تعادل استراتيجي، يعكس مجموعا واسعا من المتغيرات: كمية، ونوعية، وثقافية واجتماعية، تُنشئ معا واقعا لا يُمكّن طرفا من إخضاع الطرف الثاني. ليس الحديث عن تعادل بين اسرائيل وحزب الله، الذي هو في نفسه كيان خارج الدولة، بل بين اسرائيل وبين دولة لبنان كوحدة واحدة، وكجزء من التعادل الاقليمي العام. منذ سنين والدولة اللبنانية خاضعة لمسيرة بناء نظام الكوابح والتوازنات من جديد، الذي يُمكّن من مجرد وجودها، وحزب الله عنصر حيوي، وإن يكن اشكاليا، في هذه المسيرة. كل محاولة لاقتلاع هذه الحركة «من جذورها»، مع كل ما تمثله في الواقع اللبناني، قد تجبي ثمنا باهظا، ولست أخالها تنجح.

ورغم أن التعادل الاقليمي هو واقع استراتيجي بعيد الأمد، فانه ليس معطى ساكنا بل متحركا. أريد أن أقول، توجد مراحل قد يكون فيها التعادل أكثر راحة، والثمن الذي يُطلب الى الأطراف دفعه عنه أرخص مما يكون الأمر في مراحل اخرى. أتكهن أنه لو كانت اسرائيل بعد ردها العنيف الأول على تحرش حزب الله، استجابت للتوجه المتأخر لرئيس حكومة لبنان، فؤاد السنيورة، لوقف اطلاق النار فورا، الذي كانت مركباته تلائم ملاءمة مدهشة المركبات التي تم الحديث عنها في وقت النار الحالي، لكان التعادل في الساحة اللبنانية أثمر ثمرة هي الأفضل.

لكن دعوة رئيس حكومة لبنان رفضتها حكومة اسرائيل بتعجرف، بل أجهد الوزير حاييم رامون نفسه ليُبين للسنيورة أن رب البيت الحقيقي في لبنان هو حسن نصر الله. إن الدافع الاسرائيلي الى «المضي حتى النهاية» (وهو نهاية يصعب على الجميع تحديدها)، لم يُضف نقاطا الى اسرائيل.

ما يزال يوجد أمل أن تخرج الأطراف المضروبة المنكسرة من المأساة الحالية الى آفاق سلمية وآفاق نمو. بهدي من أقوال سيد أحمد أقول إن التسويات التي ستُحرز لن تكون بمنزلة «سلام عقائدي»، بل «تنظيم للتناقضات من جديد»، وهو ما لا ينفي التعاون الاقليمي العملي في مستويات مختلفة، وفي ضمنها انشاء أدوات مُجدية لحل الازمات بلا احتياج الى العنف. أما دور «سلام القلوب» فسيأتي في مستقبل ما، كاستمرار مطلوب للعملية الاقليمية، التي ستُحركها حكمة التعادل.

د. يوسي أميتاي
محاضر في دراسات الشرق الاوسط في جامعة بن غوريون
وسابقا مدير المركز الاكاديمي الاسرائيلي في القاهرة
(معاريف) ـ 15/8/2006

مواطنون لبنانيون عائدون الى بيوتهم المدمرة في الضاحية الجنوبية، في بيروت العاصمة

غموض القرار 1701 لن يحقق لاسرائيل نصرا دبلوماسيا بعد هزيمتها العسكرية

■ إن قرار مجلس الأمن هو اطار سهل لحزب الله للاعداد للحرب القادمة، ولكن مع تفسير أكثر تفاؤلا ـ هو ايضا ذو قدرة كامنة على التغيير، كما تأمل اسرائيل. والسؤال ما الذي سيغلب؟ صحيح، اعترفت الجماعة الدولية بأن حزب الله مسؤول عن هذه الحرب وهذا انجاز كبير. وصحيح أن مجرد حقيقة أن حزب الله وافق على نشر جيش لبنان وقوات الأمم المتحدة جنوب لبنان دليل على أن المنظمة أُصيبت اصابة بالغة وتخوفت من استمرار العملية البرية للجيش الاسرائيلي – وهذا انجاز حقيقي. وصحيح أن اعلان النوايا العام يتحدث عن تنفيذ القرار 1559، وفي ضمن ذلك نزع سلاح الميليشيات – وهذا مبدأ مهم كأساس لعمل الجماعة الدولية في المستقبل.

ولكن بازاء ربع الكأس المليئة من المهم أن نرى أكثر الكأس التي ما تزال فارغة:

أولا، لا يوجد في القرار التزام أو طلب عودة في الحال للمختطفين. إن ما كان يبدو مقبولا على الجماعة الدولية وشرطا أساسيا لكل وقف اطلاق نار قد تلاشى.

وثانيا، لا يوجد جدول زمني للتنفيذ، لا بشأن نزع سلاح حزب الله ولا بشأن جعل المنطقة جنوب الليطاني منزوعة السلاح. في الوضع الحالي، والجيش الاسرائيلي لم يقم بالعمل، سيكون من الصعب على جيش لبنان أن ينفذ العملية في الميدان. عنان هو الذي يقف من وراء عجز يونيفيل ومن وراء عدم استعداد الامم المتحدة للعمل في مواجهة حصول ايران على الذرة. انه الرجل الذي اتهم مبعوثوه اسرائيل بالمجزرة في جنين، وهو الذي صافح نصر الله في بيروت، وهو الذي تجرأ على أن يقرر أن الجيش الاسرائيلي أصاب أفراد الامم المتحدة على عمد.

بالاضافة الى ذلك، لم يُعين في القرار أي جهة دولية كمسؤولة عن منع وصول سلاح آخر من سورية وايران. يترك القرار هذا الأمر لحكومة لبنان. لهذا يجب أن نأخذ في الحسبان، أنه ابتداء من دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ ستتدفق الوسائل القتالية الجديدة على حزب الله، في حين يُمنع الجيش الاسرائيلي من المس بهذه القوافل.

ويترك القرار طلب حزب الله الاعتراف بمزارع شبعا كمنطقة لبنانية محتلة، يتركه مفتوحا. من المعقول أنه في اطار «خُذ وأعط» الذي يرغب عنان في اللعب به، سيكون هذا أحد المجالات التي سيُطلب فيها تنازل اسرائيلي آخر.

ربما لم يكن في الامكان الحصول على أكثر من هذا، لكن من المؤكد أن هذا ليس «اتفاقا جيدا»، كما صاغ الأمر رئيس الحكومة ووزيرة الخارجية.

لا يجوز أن نُمكّن الحيل الاعلامية وتصريحات الساسة من بلبلتنا، حتى لو كان المحللون من قبلهم يُلونون الصورة باللون الوردي. هل ستنجح اسرائيل بجهد دبلوماسي، لا يعتمد على نجاح عسكري ذي شأن في تغيير الخط الذي يلوح في لغة القرار؟ أنا اشك في هذا، ويحسن الاعتراف بالواقع كما هو.

يعقوب عميدرور
لواء متقاعد كان قائد المعاهد في الجيش الاسرائيلي
ورئيس لواء البحث في «أمان»
(يديعوت احرونوت) ـ 15/8/2006

المطلوب من اولمرت كان التواضع والبحث عمن اخطأ: حكومته ام الجيش؟

■ حسب الخطاب الذي ألقاه رئيس الحكومة يوم أمس في الكنيست يبدو أن الاحساس بالفشل الذي يصاحب هذا الجمهور لم يتمكن من التغلغل الى داخل مباني الحكومة الاسرائيلية، واهود اولمرت تحدث عن «عملية» للجيش الاسرائيلي كخطوة أدت الى تغيير استراتيجي في الشرق الاوسط حتى قبل أن يتضح ما اذا كان وقف اطلاق النار سيتم الحفاظ عليه أم لا، وما اذا كان سيُطلق سراح المخطوفين، واذا كان الجيش اللبناني سينتشر، وحزب الله سيتم نزع سلاحه ولن يُجدد مرة اخرى مخزونه من السلاح. العبارة الأكثر سوءا من قبل اولمرت، أنه في كل معركة في مواجهة حزب الله خرج جنود جيش الدفاع الاسرائيلي وهم منتصرون، هذه العبارة لا تعكس الحقيقة التي اكتشفت خلال شهر من المعارك القاسية معهم، وأن الجيش الاسرائيلي قد اضطر الى احتلال احدى المناطق مرة بعد اخرى مما يدل على عدم احتلالها، وأنه لا شيء من الوسائل التي استُخدمت من الجو ومن البر قد تمكنت من وقف اطلاق الصواريخ باتجاه اسرائيل، بل لم تتمكن من مجرد تقليص عدد هذه الصواريخ والنار التي كانت تُطلق.

الجمهور يعرف بأن الجيش الاسرائيلي لم ينتصر في المعركة، ولا يوجد احتمال لاقناعه بذلك، وفي الخطابات الضبابية التي تحاول عدم إظهار الحقيقة، فان هذه ليست وجهة الحقيقة والأمور تماما. آباء الجنود يعرفون تماما القصص الحقيقية عن الطعام الذي لم يصل الى أبنائهم، وعن العتاد الناقص الذي اشتروه من أموال المتبرعين. وسكان الملاجيء رووا القصص الكثيرة عن عذاباتهم وضائقتهم، وعن الاخلاء الذي شوش كل شيء. واضافة الى كل ذلك، وأمام نجاح حزب الله وقدرة الجبهة الداخلية التي أظهرتها، والحكومة المترددة وقلة امكانية متابعتها، حقيقة نقصان التجهيزات القتالية، وأن الجنود لم يكونوا مدربين لمثل هذه المهام التي أُلقيت عليهم، قد نسبوها الى قلة الموازنة، وهكذا ايضا كان وضع الملاجيء وخدمات الاغاثة والانقاذ التي تقوضت. فاذا كان وضع الاقتصاد على هذه الحال المنذرة، كما وصفوها هم، فان سؤالا يطرح نفسه: الى أين ذهبت الاموال؟

وهل تعرف الحكومة كيف تُصحح هذه الأخطاء، اذا كانت أصلا تستطيع اصلاحها والاعتراف بها؟.

«أنا أسمع أصوات تُعرب عن عدم الارتياح»، هكذا قال اولمرت أمس، وكأنه يتحدث عن انتقادات ثانوية فقط، وكأن وسائل الاعلام لم تعرض على شاشاتها وعلى الأوراق خلال شهر طويل ما يدور بين الناس وما يعتمل في قلوب الجمهور، وكأنه لم يتم إقالة قائد المنطقة الشمالية وسط المعركة، وكأنه ايضا لم يتم توجيه آلاف الجنود الى عملية يمكن تسميتها «اللحظة الأخيرة»، والتي أهدافها لم تكن واضحة في الأساس. والشيء الأكثر إقلاقا في قول رئيس الوزراء، الذي حاول أن يتهرب به، وكأن «في المرة القادمة ايضا ستكون هناك بعض الاشياء التي نأسف عليها ونضطر الى تصحيحها كما في هذه الحرب».

يُحظر علينا أن نسمح لهذه الحرب أن تمر دون فحص أساسي واضح. ولا يمكن السماح لهذه الأرجحة التي يشعر بها الجمهور أن تزول وتنتهي بأقوال ديماغوجية. ولا يمكن إلقاء التهمة على حكومة اولمرت عن كل هذه الاشياء السيئة، ولكن يمكن أن نلقي عليها ـ حكومة اولمرت – كامل المسؤولية بضرورة اصلاح الأخطاء. ومن خطاب اولمرت كان يمكن أن نفهم أنه لا يتحدث عن أزمة كبيرة، ولذلك فمن المشكوك فيه أن يكون أهلا لاستخلاص العبر.

يجب أن نَفحص لماذا كان الجيش والجبهة الداخلية غير مستعدين لهذه الحرب المنتظرة بالأساس، وايضا ما الذي عرفه اولمرت عن عدم الاستعداد هذا عندما قرر الخروج الى المعركة. فاذا كان لحكومته نصيب من الاستمرار أكثر، فان هذا سيكون فقط من اجل اصلاح الأخطاء التي برزت والتي يجب الوقوف عندها. واذا كان خطاب رئيس الحكومة يُبشر ببداية نهج جديد من الديماغوجية بدلا من حساب النفس، فان ما يمكن استخلاصه هو عدم امكانية اصلاح الأخطاء لأن المطلوب كان تواضعا أكثر لتتمكن الدولة من الخروج من هذه الازمة بصورة ايجابية.

افتتاحية/ أسرة التحرير
(هآرتس) ـ 15/8/2005

الديمقراطية لا تتناقض مع الارهاب

قبل ان تبشر امريكا بالحرية عليها حماية سيادة الدول القومية في المنطقة

■ هناك شيء صحيح، وغير صحيح جدا في مبدأ جورج بوش المتعلق بالصراع العالمي، الذي يدور في داخله صراع اسرائيل لحزب الله. إن تعريف «محور الشر» درامي ومليء بالانفعال، لكنه صحيح في أساسه، وإن الجزم بأن الحديث عن صعود «فاشية اسلامية» هو جزم دقيق. وصحيح ايضا تمييز أن العالم كله يواجه خطر البعثات الارهابية التي تستعملها هذه الدول، والايديولوجية التي تبثها. المحاولة التي أُحبطت في بريطانيا قريبا، لاسقاط نحو من عشر طائرات في طريقها الى الولايات المتحدة، تذكير مهم بهذه الحقيقة.

لكن بوش يُقسم خريطة العالم على هيئة مبدأ ترومان، وكأن الحديث عن جولة اخرى من الحرب الباردة، وهذه المصطلحات مُضلة هذه المرة. على حسب بوش، في هذه الحرب يتواجه خياران: الارهاب في وجه الديمقراطية. على حسب هذا المبدأ حاولت امريكا فرض الدمقرطة على العراق، وفشلت كما يبدو، وعلى حسب هذا المبدأ فرضت الولايات المتحدة الانتخابات على السلطة الفلسطينية، وحصلنا على حماس كحكومة منتخبة، هذا تذكير مشوه بحقيقة أن هذين الأمرين ـ الارهاب والديمقراطية ـ ليسا نقيضين.

النقيضان في هذه الحرب هما الارهاب في وجه القدرة على الحكم، أو بصياغة أخرى، الارهاب في وجه السيادة. يسعى الارهاب لتقويض السياسة ويوجد عندما تنحل. هكذا أقام حزب الله الحكم الذاتي «الارهابي» داخل لبنان، وهو بلد سيادته متهاوية هشة. وهكذا أقيمت حماس (المنظمة على هيئة شبكة لا على هيئة تراتبية وزارية) مع غياب سيادة مستقرة في المناطق. وهكذا تعمل منظمة القاعدة، اذا كان هذا الاسم يلائم هذه المنظمة. في كل هذه الحالات، السيادة الوطنية المنظمة هي العلاج الأفضل الذي نملكه الآن، وفي كل مكان توجد فيه حكومة مركزية تستطيع أن تحاصر خطى الارهابيين اذا شاءت ذلك. يمكن استعمال التضييق على الدول، ويمكن حثها. لا تجري على المنظمات الارهابية جميع هذه الوسائل.

المرحلة الاولى في مكافحة الارهاب هي، اذن، ليست الدمقرطة بالضرورة، بل القدرة على الحكم. كما تعلمنا من تجربة الزمن الأخير في الشرق الاوسط (ومن التجربة الأطول في امريكا اللاتينية، وفي افريقيا، وفي آسيا)، يُحتاج الى استقرار في الحكم لكي تنشأ طبقة وسطى، ويُحتاج الى الطبقة الوسطى لكي لا تكون الديمقراطية مرحلة انتقالية قصيرة في الطريق الى الدكتاتورية والشمولية. هذه هي مصلحة اسرائيل العليا الآن، وهي أن تساعد في نشوء سلطة مركزية مستقرة، في لبنان وفي السلطة الفلسطينية ايضا. الفوضى هي البديل الاسوأ، والأخطر. انها الدفيئة التي ينمو الارهاب فيها ويتطور، وهي السياق الذي يستطيع فيه كل متشدد يحمل سلاحا إملاء جدول العمل على الجميع.

ليس هذا صحيحا بالقياس الى نضال اسرائيل فقط. هذا صحيح ايضا بالقياس الى «مبدأ بوش» عامة. يجب على أمريكا أن لا تجول العالم وتفرض الديمقراطية. يجب عليها أن تشجع السيادة الوطنية المنظمة، قبل كل شيء، وتساعد على بناء استقرار الاقتصاد، وبعد ذلك فقط تبدأ بتشجيع الديمقراطية. هذا امر ملح في منطقتنا على نحو خاص. في جميع البلدان العربية، القدرة على الحكم، والسيادة والقومية تظل امورا هشة. ايديولوجية الجامعة الاسلامية الاصولية تهدد من الداخل، وتحاول تقويض وطنية كل واحدة من الدول العربية أيضا (باقتراحها أساس هوية لجامعة عربية تتجاوز الحدود).

في المدة الأخيرة بدا لكثيرين في الغرب أن عهد القومية قد انقضى، وأن الدولة القومية قد أفلست. هذا صحيح على نحو جزئي جدا بالقياس الى اوروبا. لكن اذا كانت اوروبا قد بدأت تتجاوز المرحلة القومية، فان الشرق الاوسط (وفيه اسرائيل) ما يزال لم يستقر في المرحلة القومية. يحتاج مبدأ بوش الى تحديث عاجل: ليس الهدف الأول الدمقرطة بل دولا قومية مستقرة.

غادي طؤوف
(معاريف) ـ 15/8/2006

عناق واحد ومصافحة واحدة مع جيراننا الفلسطينيين

ربطنا حياتنا ولغتنا بامريكا وادمنّا الحديث مع انفسنا ونسينا سياقنا الجغرافي

■ أحاول أن أفكر متى رأيت آخر مرة زعماء اسرائيليين يتحدثون الى قادة عرب عن السلام، ويصعب علي أن أتذكر. في السنين الأخيرة قوي ميلنا «الوسواسي القهري» للحديث مع أنفسنا عن تسوية مع العرب، وكأن النزاع الحقيقي في الشرق الاوسط هو بين اليمين واليسار.

تهدف المباحثات الفارغة بين هاتين الكتلتين المتعبتين الى هدفين: تعويق كل امكانية للتغيير وتجميد الواقع في الميدان، تخوفا من أن تُشعل خطوة سياسية ما حربا داخلية بين اليهود. واذا قُضيت علينا الحرب، يقول موجهونا لأنفسهم، فمن الأفضل أن تكون مع العرب. يعذبنا التفكير في أنه لو بُذلت طاقة دبلوماسية مشابهة مع زعماء فلسطينيين ومع زعماء لبنانيين ومع زعماء سوريين، لكان كل شيء ربما يبدو مغايرا. وربما كنا نعيش في سلام معهم.

هل يمكن أن تكون الحرب البائسة في لبنان، والقتل الذي لا ينقطع في غزة، نتيجة عدم الاستعداد للحديث الى جيراننا؟ متى حاولنا آخر مرة التحدث الى الفلسطينيين في مستقبلهم وفي مستقبلنا؟ متى في آخر مرة راودنا اللبنانيين عن تسوية سلمية موقعة معهم؟ متى حاولنا آخر مرة تجديد التفاوض المقطوع مع السوريين في امكانية عقد اتفاق سلمي معهم.

منذ ست سنين والسياسة الاسرائيلية في مكانها. منذ أن دفع ايهود باراك ياسر عرفات داخل البيت في كامب ديفيد في تموز (يوليو) 2000، لم ينشأ أي اتصال جدي بين زعيم اسرائيلي وزعيم عربي ممن ننازعهم. النتيجة فظيعة. صفقت اسرائيل الأبواب في وجه جيرانها وعزمت على التوصل الى تسويات سياسية صادرة عن رأيها الخاص، في حديثها الى نفسها، مع تجاهل جيرانها وكأنها شوكة في سهل قاحل. ربما نكون ندفع الثمن عن صفقة الباب هذه في وجه جيراننا.

يدل القتل في غزة بقدر كبير، بعد الانفصال وحرب لبنان، على فشل التوجه الأحادي. كيف يمكن، يسأل كل ذي عقل، أن نخرج من لبنان ويهاجمونا؟ كيف يمكن، يسأل كل ذي عقل، أن نخرج من غزة وما زالوا يهاجموننا؟ لا عجب أن عدم الاعتراف بالفضل في الجبهتين قاد اسرائيليين كثيرين الى استنتاج أن كراهية اليهود مغروسة في الجينات الاسلامية وأن غريزة الحرب كامنة في المزاج العربي.

وربما يكون هياج العدوانية هذه يصدر عن مزاجنا الأناني، مع انعدام نظرنا الى جيراننا، وانعدام استعدادنا لرؤيتهم على مبعدة متر واحد. لا يوجد شيء يُسمى السلام الأحادي كما لا يوجد شيء يُسمى حربا أحادية. تحتاج رقصة الموت الى اثنين، كما تحتاج الى اثنين رقصة الفرح. قررنا أن نُراقص أنفسنا، وكأن العرب غير موجودين، أو شفافون، وغير أهل ولا يساوون أن نُحادثهم.

ولا يعني هذا أنه لم تكن في الماضي اتصالات ثنائية أثارت الأمل. لكن يمكن عدها على أصابع اليد الواحدة. قبل شهرين فقط أُجري لقاء بهيج لرئيس حكومتنا الجديد، ايهود اولمرت، مع رئيس مصر حسني مبارك وعبد الله ملك الاردن. وزعوا عددا من الابتسامات وربت بعضهم لبعض على الأكتاف. كان اولمرت في أفضل أحواله. ضحك، وتفكه، وأظهر الود وأبدى قدرات تواصل مثيرة للانطباع. تحدث الى الجميع، ما عدا الرجل الوحيد الذي سوّغ حديثا جديا. وبدل ذلك، جهد مساعدو اولمرت ألا يصافح سيدهم أبو مازن.

هذه انجازات الدبلوماسية الاسرائيلية بازاء الفلسطينيين في السنين الست الأخيرة: دفع ايهود باراك عرفات في كامب ديفيد، واستدعى باراك نفسه عرفات الى عشاء في بيته، ودعا اريبل شارون أبو مازن الى لقاء في ديوان رئيس الحكومة، واحتضن ايهود اولمرت أبو مازن. تربيتتان، وحديث واحد وحفل واحد على امتداد ست سنين كاملة.

وطول هذا الوقت كله، انطوت اسرائيل على نفسها، رافضة النظر الى ما حولها. خرجت غاضبة من لبنان وخرجت بغضب مشابه من قطاع غزة، من غير أن تقوم بمحاولة ما لتنسيق الاجراءات مع ذوي الشأن. وهي تخطط ايضا للخروج من الضفة بصفقة باب مشابهة، أحادية الجانب.

بدل الحديث الى أعدائنا نتحدث الى أصدقائنا فقط، ولن نقول وكلاءنا الامريكيين. نعتبر الانجليزية لغة الأم تقريبا ونرى اللغة العربية تهديدا وجوديا. الى الآن، لم يبرهن تعبيدنا حياتنا وقيمنا ومستقبلنا لامريكا على نفسه. لم نكن قط بدون امن كما نحن اليوم. كجزء من يأسنا نحيط أنفسنا بسور ونجعل رمز بعثنا القومي غيتو يهوديا حصينا مغلقا من كل جهة.

اذا ما انتشر اليأس من الجيران ومن السلام، فقد يضع الاسرائيليون زمام الدولة في يد متشددين خطرين مثل أفيغدور ليبرمان. «من اجل اوضاع مجنونة، يُحتاج الى أناس مجانين في الحكم»، قال في الاسبوع الماضي أحد سكان كريات شمونة، صور بهذا المزاج الجديد وذكر ليبرمان كعلاج سحري.

اذا لم يُعد اولمرت الأمل في أقرب وقت ولم يبدأ الحديث الى اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، فان اليأس من الوضع قد يحث الاسرائيليين على حلول متشددة.

دانئيل بن سيمون
(هآرتس) ـ 15/8/2006

AL-QUDS Al - Arabi